

## الحاضرة الثامنة : الفلسفة الرشدية

### توطئة

ولد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد في مدينة قرطبة سنة 520 هـ الموافق 1026م، وترعرع في حب العلم وأهله في كفر والده الذي كان من كبار علماء قرطبة وقضاتها، وشغف في حداثة سنّه بدراسة الطب والشريعة وتطلع إلى العلوم المأورائية، ظهر منه نبوغ عجيب لفت إليه الأنظار، والعجيب من أمر هذا الفيلسوف الكبير أنه لا يدرى أين درس الفلسفة والعلوم المأورائية، ومن أستاذة في هذه العلوم؟

هكذا يثبت الواقع التاريخي أن ابن رشد لم يأخذ فلسفته عن ابن طفيل كما أثبتت من قبل أنه لم يأخذها عن ابن ماجه، فيبقى أستاذة في الفلسفة غير معروف ولعله بدراساته لم ينبع العلوم الشرعية وعلم الكلام عطف على دراسة كتب أرسطو وتتلذذ عليه بواسطة كتبه، كما يظهر من تأثيره البالغ بفلسفته، وعلى أي حال فهو فيلسوف كبير يكتنفه الغموض وتحيط به الاستئهامات من كل جانب، فهو فيلسوف متھور؟ كما يقول بعض الكتاب؟ فهو فيلسوف جامع بين الفلسفة والدين كما يظهر من بعض كتبه؟ فهو أشعري في عقيدته؟ أو واقفي؟ أو مفوض؟ أو هو.. أو هو.. فهو باطني الخ.

**موقفه من الشريعة:** اتبع ابن رشد الحفيد (ت 595 هـ) أسلافه المؤولين من الفلاسفة والمتكلمين، في تأويلهم للنصوص الشرعية، لتفق مع اتجاهاتهم و اختيارتهم المذهبية المخالفة للشرع. ويعد من أكثرهم اهتماما بالتأويل، وممارسة له.

## وأما معنى التأويل: لغة، وشرع، واصطلاحاً:

في لسان العرب: التأويل هو: التفسير، والتدبر، والتقدير، ومآل الشيء الذي يصير إليه. وعبارات: التأويل، والمعنى، والتفسير معناها واحد وأما معناه في الشرع، فله معنيان: أولهما حقيقة الشيء وما يقول أمره إليه، كقوله تعالى: ((قَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَيْ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًا)) سورة يوسف: 100 - ... و ((هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رِسْلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)) سورة الأعراف: 53 -، بمعنى يوم يأتي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد. والمعنى الثاني هو: التفسير والبيان، والتعبير عن الشيء، كقوله تعالى: ((إِنَّمَا بَتَأْوِيلَهُ إِنَّمَا تَرَكَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ)) سورة يوسف: 36 -

وأما معناه عند السلف من المفسرين والفقهاء والمحدثين، فمعناه التفسير والبيان، وبهذا المعنى عرف هؤلاء معاني القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف. وأما معناه عند المتأخرین، من المتكلمين والأصوليين فهو ((صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقة، إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع عندهم لذا يقال التأويل على خلاف الأصل و التأويل يحتاج إلى دليل)) وهذا المعنى لم يكن السلف يريدونه بلفظ التأويل، ولا هو معنى التأويل في كتاب الله تعالى .

## أولاً: مفهوم التأويل وأسبابه عند ابن رشد:

عرف ابن رشد التأويل بأنه ((إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقة إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عدلت في تعريف أصناف الكلام المجازي )) ..

فالتأويل عنده ليس عبئاً بالنص، ولا ليكاً لمعانيه، بل انتقالاً من الظاهر إلى الباطن عند الضرورة العقلية فقط

لكن ابن رشد يشدد على أن التأويل:  
\*ليس متاحاً لل العامة

\*ولا يجوز نشره بين من لا يمتلك أدواته  
\*لأنه قد يفضي إلى الفتنة واضطراب العقائد

وهذا يبرز جاتباً مهماً في فكره العقلانية المسؤولة، لا العقلانية الفوضوية.

### ثانياً: الفلسفة بوصفها فرضية عقلية

ينطلق ابن رشد من فكرة جريئة، لكنها في غاية الانسجام مع النص القرآني، وهي أن النظر العقلي فرضية شرعية على من امتلك القدرة عليه، فكما أن الصلاة فرضية على القادر جسدياً فإن التفكير فرضية على القادر عقلياً.

ويستدل على ذلك بأن القرآن نفسه مليء بنداءات التفكير والتدبر والنظر، مما يجعل الفلسفة — باعتبارها أرقى أشكال النظر — وسيلة لفهم المقصود الإلهي، لا أدلة لمعارضته.

### ثالثاً: لا تعارض بين العقل والنقل

القضية المركزية في الفلسفة الرشيدية هي نفي التعارض الجوهرى بين العقل والشريعة فابن رشد يقرر قاعدة حاسمة و هي : إذا كان العقل صادقاً، وكانت الشريعة حقاً، فلا يمكن للحق أن ينافق الحق، فإن بدا التعارض، فهو تعارض ظاهري لا حقيقي، وسيبه أحد أمرين:

1- فهم حرفياً جامداً للنص

2- أو استدلال عقليًّا ناقصاً أو فاسداً

وهنا لا يدعو ابن رشد إلى تقديم العقل على النص ولا النص على العقل، بل إلى إعادة القراءة وفق منهج علمي دقيق.

### خامساً/ تقسيم الناس بحسب مناهج الإقناع

يبيّن ابن رشد بين ثلاث فئات معرفية:

1- أهل الخطابة: وهم عامة الناس، ويكتفون بظاهر النص.

2- أهل الجدل: وهم المتكلمون.

3- أهل البرهان: وهم الفلاسفة.

ولكل فئة خطاب يناسبها دون إلغاء أو تحريف، وهذا التقسيم يعكس فلسفة اجتماعية عميقة، ترى أن وحدة المجتمع لا تقوم على توحيد العقول، بل على احترام اختلافها

### سادساً/ خلاف ابن رشد والغزالى

يساء كثيراً فهم الخلاف بين ابن رشد والإمام الغزالى وكأنه صراع بين الإيمان والكفر، بينما هو في حقيقته اختلاف في المنهج المعرفي الغزالى رأى أن الفلسفه تجاوزوا حدود العقل، بينما رأى ابن رشد أن الغزالى خلط بين فلسفة أرسطو وبعض الآراء الفلسفية الشاذة

وجاء كتاب "تهافت التهافت" لابن رشد دفاعاً عن الفلسفة البرهانية، لا عن كل ما قاله فلاسفة

### سابعاً/ العقل والكون والسببية

يدافع ابن رشد عن مبدأ السببية، ويرى أن إنكارها يؤدي إلى فوضى معرفية، حيث لا يعود للعلم معنى، ولا للتجربة قيمة فالكون عنده منظم، تحكمه سنن إلهية ثابتة، والبحث في هذه السنن هو عبادة عقلية

### ثامناً/ مآل الفلسفة الرشدية في العالم الإسلامي

من المفارقات التاريخية أن فكر ابن رشد حورب في الأندلس وأحرقت بعض كتبه ونقى في آخر حياته بينما ترجمت أعماله في أوروبا ودرست في الجامعات وأثرت في فلاسفة كبار مثل توما الأكويني وهكذا انتقل العقل الرشدي غرباً، بينما خبا شرقه

### المراجع

1-الشيخ محمد أمان بن علي الجامي، العقل والنقل عند ابن رشد، منشورات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 11، 1978

2 - ابن رشد: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، حققه محمد عبد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط 3، 2002.

3- ابن منظور، لسان العرب، تج: اليازجي وآخرون، دار صادر، بيروت، 1414هـ